الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
People's Democratic Republic of Algeia
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
Abdelhamid Ben Badis University - Mostaganem
كلية الأدب العربي والفنون
Faculty of Arabic Literature and Arts
قسم الفنون

صدى الحضارات في أطلال مستغانم

Echo of civilizations in the ruins of Mostaganem

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في فنون العرض

تخصّص: سينما وثائقيّة

من إعداد الطّالب :
عزّالدّين عبد العزيز

تحت إشراف الأستاذ:
د. العايب أحسن

لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ (ة)	الرّتبة العلمية	الصّفة في اللّجنة
د. بومسلوك خديجة	أستاذ محاضر أ	رئيسًا
د. العايب أحسن	أستاذ محاضر أ	مشرفًا ومقررًا
د. شرقي هاجر	أستاذ محاضر أ	مناقشًا

السّنة الجامعيـــة: 2023م – 2024م

الشّكر:

لله الحمد والشّكر على فضله علينا في إنجاز هذا العمل المتواضع، ثمّ نتوجّه بالشّكر الجزيل إلى الدّكتور العايب أحسن، الأستاذ المُؤطّر المشرف الّذي قَبِلَ اختياري، وساعدني بنصائحه وإرشاداته وجديته وتشجيعه نظريًّا وتقنيًّا.

كما نشكر كلّ مَنْ أدعمنا وساعدنا- على اختلاف نوعية الدّعم - في إنجاز هذه المذكرة من بعيد أو قريب، والله ولي التّوفيق.

عزّالدّين عبد العزيز

الإهداء

إلى الوالدين، والعائلة الكبيرة، وإلى عائلتي الصّغيرة،

وإلى كلّ مَنْ قدّم لنا يد العون في إنجاز هذا العمل المتواضع، إلى مَن وجّهنا، إلى مَنْ صبر على تكويننا، وأحسن إلينا بتواضعه واحترامه، إلى أستاذي الدّكتور العايب أحسن.

إلى جميع أساتذتي دون استثناء، وإلى زملاء الدّفعة،

وإلى طاقم إذاعة مستغانم الجهويّة.

وإلى أصدقائي علي وحميد وعلي، وإلى كلّ مَن ساعدنا من قريب أومن بعيد في إنجاح هذا العمل.

عزّالدّين عبد العزيز

فهرس المحتويات **الصفحة**

كلمة شكر

الإهداء

المقدمة..... أ- د

1. الدّراسات السّابقة..... أ
2. هدف الدّراسة..... أ
3. أسباب اختيار الموضوع الموضوعيّة..... ب
4. أسباب اختيار الموضوع الذّاتية..... ب
5. الإشكالية.....,,,,..... ب
6. التّساؤلات..... ج
7. المنهج..... ج
8. خطّة البحث..... ج – د

المدخل: الإطار الجغرافيّ والطّبيعيّ لمستغانم..... 05

المبحث الأوّل: الموقع الفلكيّ والجغرافيّ، المناخ وأصل التّسمية.....06

المبحث الثّاني: ضبط المصطلحات (صدى، الحضارة، الأطلال).....07-10

المبحث الثّالث: السّينما الوثائقيّة(الفيلم التّاريخيّ)..... 10-12

الفصل الأوّل: صدى الحضارات في أطلال مستغانم – تراث متميّز...13

المبحث الأوّل: مستغانم مهد الحضارات والأطلال قديمًا وحديثًا.....14

المبحث الثّاني: الحضارات والأطلال ما قبل الميلاد.....16

- الفينيقيّون (فينيقيا – Phoivikn) والرّومان.....16

المبحث الثّالث: الحضارات والأطلال بعد الميلاد إلى 1830م.....18

1. الموحّدون والمرينيّون.....18-19
2. الإسبان.....21
3. العثمانيّون الأتراك.....22

المبحث الرّابع: الحقبة الكولونيالية الفرنسيّة وطمس الأثار.....23

توصيات.....24

الفصل الثّاني: إنجاز فيلم وثائقيّ عن صدى الحضارات في أطلال مستغانم

المبحث الأوّل: بطاقة تقنية عن الفيلم مع ملخّص الفيلم

1.بطاقة تقنية عن الفيلم.....27

2.ملخّص الفيلم.....27

المبحث الثّاني: خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ

1.خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ (مرحلة ما قبل الإنتاج).....27

1.1- مرحلة تحديد نوع الفيلم، وجمع المعلومات.....27

2.1- مرحلة التّقطيع التّقنيّ.....28

3.1-مرحلة كتابة نصّ التّعليق الصّوتي للفيلم الوثائقيّ.....30

2.خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ (مرحلة الإنتاج).....32

- مرحلة التّصوير.....32

3.خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ (مرحلة ما بعد الإنتاج).....33

1.3- مرحلة المونتاج والميكساج.....33

2.3- الصّورة والصّوت(موسيقى، تعليق، مقابلات) والجنيريك..33

الخاتمة 35

الملاحق 37

قائمة المصادر والمراجع 43

الملخّص 46

مقدمة:

على مرّ الأزمنة والعصور قامت على أرض الجزائر حضارات كبيرة ومختلفة، فكان لها عظيم الأثر في تاريخها، ووقعت على إثرها أحداثٌ غيّرت الكثير، وظهر ذلك من خلال مواد تاريخيّة مختلفة مثل الآثار بمختلف أنواعها من برديات ومسكوكات وتماثيل وأبنية كثيرة، كلٌّ منها تشير إلى حضارة مختلفة.

هذه الحقائق حرّكت في نفسي دافعًا لتقديم موضوع بحثي عن بعض الحضارات الّتي قامت على أرض مدينة مستغانم، مسلّطًا الضّوء على أطلالها الّتي لا تزال آثارها إلى اليوم قائمةً، ودلّت الاكتشافات على أنّ مدينة مستغانم كانت عامرةً منذ فترة ما قبل التّاريخ؛ حيث استقر بها الإنسان القديم وذلك لوجود مواقع يرجع تاريخها إلى فترة العصر الحجريّ الأوّل ما بين 30 و32.000 ق.م، والعصر الحجريّ المتوسّط، بل حتى إلى مليون سنة.

الدّراسات السّابقة:

يبدو أنّ الموضوع في البحوث والتّحريّات والرّبورتاجات انساق نحو الجانب الإشهاري والسّياحيّ مُتقصيًّا – بانوراميًا – صورًا نمطية تصاحبها موسيقى دون تعليق، وهناك مَنْ تقصى الموضوع بمعلمٍ أثريٍ واحد فقط.

هدف الدّراسة:

أطلال المدينة من معالم تاريخيّة وأثريّة تركت لنا صدى خيط رفيع ربّما سينقطع مع سيرورة الزّمن، وعليه فالهدف واضح في كشف حقيقة خلفية المعالم الأثرية أو توضيح تَفتُّح مستغانم في ظلّ التّحوّلات والتّطوّرات الحضاريّة الّتي عايشتها مع الفنيقيين والرّومانيين والموحّدين والأمويين والإسبان والعثمانيين، وغيرهم، وعلى آفاق آنية ومستقبلية تُثَبِّت تاريخيّة المكان. وبالإضافة إلى استثمار واستغلال هذا التّراث الماديّ سياحيًّا واقتصاديًّا.

أسباب اختيار الموضوع:

1.الموضوعيّة:

تحليل سبب تدفّق وتوافد الحضارات، ذكر استراتيجية المكان، والعوامل الطّبيعية والبشريّة الّتي وفّرت دعمها بالمشاركة في الدّفاع عن المنطقة صدًّا للعدوان، وترحيبًا بالتّطوّر والازدهار، ومُشيرًا إلى استثمار ما بقي من معالمها.

2.الذّاتية:

استلهمتني المقولة الشّهيرة للأديب المصريّ الكبير "عبّاس محمود العقّاد" حين قال: مَنْ وَعِيَ التّاريخَ في صدره أضاف أعمارًا إلي عمره.

لطاما حاولت التّخصّص في مثل هكذا تخصّصات لصيقة بالتّراث والماضي للتّعرّف على الانجازات الماديّة الجذّابة جماليًّا وفضوليًّا، وعلى الحضارات والاستفادة العلمية من خُطى القدماء في رسم معالم الحضارة، ومن باب آخر أراه تقنيًّا وولعي بفن التّصوير والتّعليق على السّواء، وكأنّني – صراحةً – وجدت ضالتي – أكاديميًا – منذ زمن بعيد. ومن جهة أخرى أُعَرِّفُ عن مدينتي مُخبرًا عمَّنْ وطِئت أقدامهم قصدًا أرضنا في الأزمنة الغابرة. ومن هنا ارتأيت أن أبدأ الرّحلة كاشفًا أسرار هذه الحضارات من خلال صداها في تلك المعالم التّاريخيّة والأثرية. ورصد هذه المادّة في فيلم وثائقيّ تاريخيّ.

الموضوع تداول على الخصوص إشهاريًّا وسياحيًّا، وعليه أراه تكملة برؤية تاريخيّة تتماثل في جميع الآثار الّتي كتبت تاريخ مستغانم عبر ترابها. وكذا دعم وإثراء المكتبة الجامعيّة ببحوث أكاديمية وأفلام وثائقيّة.

الإشكالية:

هل صدى الحضارات في أطلال مستغانم دليل ملموس على تاريخية المكان بتحديد هوية المجتمع وبياناته البيئية والثّقافية والماديّة والعسكريّة ؟ وهل هو مشروع استثماري واعد؟ وما دور الفيلم الوثائقيّ في هذا الصّدى؟

التّساؤلات:

ما هي أهم المعالم الأثرية والتّاريخيّة الّتي عرفتها المنطقة؟ وهل معاينة آثار السّابقين توقيع فعليّ لحضارات مُختلفة؟ وهل أطلال الحضارات ساعدتنا في فهم تراثنا وثقافتنا من خلال هندستها؟ هل شارك ابن المدينة في بناء تلك المعالم؟ وهل الحفاظ عليها مطلوب؟ وكيف نستثمر تلك الآثار؟ وهل التّرويج المحليّ الدّاخلي للمعالم السّياحيّة تحصيل حاصل للاستقطاب السّياحيّ الخارجي؟

المنهج:

استدعت هذه الدّراسة المنهج التّاريخيّ سردًا واستقراءً لأهمّ محطّات الأطلال كتراث ماديّ بتحديد أمكنتها وأزمنتها وأطلالها، ودعمًا لذلك عزّزنا بحثنا بالوصف وقوفًا عند التّراث الماديّ من آثار مختلفة ومن منشآت وأمكنة.

خطّة البحث:

وللغور في الموضوع والإجابة عن التّساؤلات المطروحة ارتأينا أن نقسّم بحثنا إلى مقدّمة ومدخل وفصلين، وخاتمة مع ملاحق الصّور والخرائط والمخطّطات. وفصلت فيها كما يلي:

المدخل: وفيه تحدثنا عن الموقع الجغرافيّ والفلكيّ لمدينة مستغانم، المناخ واستراتيجيّة المكان ثمّ أصل تسمية المدينة، ثمّ تطرقنا إلى مفاهيم عامّة حول تعريف الحضارة والأطلال. و**الفصل الأوّل:** خصّصناه لتتبع كرونولوجي لمراحل تاريخ المدينة لما قبل الميلاد (الفينيقيون البونيّون)، وما بعد الميلاد (الموّحدون والمرينيون والإسبانيون والعثمانيون الأتراك، والفرنسيون) ذاكرًا أهم الآثار المادّية من أطلال لمدن قديمة وتحصينات عسكريّة، ومساجد وأسوار وأبواب وحصون وديار وأحياء. وأردت أن

أنوّه هنا إلى فترة الاحتلال الفرنسيّ الّتي ركّزت فيها على سعي هذا الدّخيل إلى طمس معالم المدينة تاريخيًّا وأثريًّا.

وفي **الفصل الثاني:** تطرقنا فيه الى الجانب النّظريّ التّقنيّ مع تعزيز ذلك بفيلم وثائقيّ يدعم البحث. أمّا الخاتمة: فأوردنا فيها أهم الاستنتاجات القيّمة والنّتائج المتوصّل إليها من البحث.

أمّا **المراجع** المُعتمَدة مثل "مواقع وحضارات ما قبل التّاريخ في بلاد المغرب القديم – محمد الصّغير غانم"، "الفينيقيّون في شرق وغرب البحر المتوسّط – ماجد أحمد الحمداني"، " الجزائر خلال الحكم التّركي – صالح عبّاد"، " الجزائر في الوثائق العثمانيّة – تر. فاضل بيات"، بلحوزي عبد الله، المظاهر الحضاريّة لمدينة مستغانم في الفترة الإسلاميّة من خلال المصادر التّاريخيّة وغيرها، كما اعتمدنا على تحديد المناطق ومواقعها الأثريّة عبر جوجل أرث – google Earth Pro
- Google Earth Studio

المدخل

الإطار الجغرافيّ والطّبيعيّ لمستغانم، وضبط المصطلحات

المبحث الأوّل: الموقع الفلكيّ والجغرافيّ، والمناخ واستراتيجيّة المكان

1. الموقع الفلكيّ
2. الموقع الجغرافيّ
3. المناخ واستراتيجيّة المكان
4. أصل تسمية مستغانم

المبحث الثّاني: ضبط المصطلحات (صدى، الحضارة، الأطلال)

1. تعريف ومعنى صدى
2. تعريف الحضارة
3. تعريف الأطلال

المبحث الثّالث: السّينما الوثائقيّة (الفيلم التّاريخيّ)

1. تعريف السّينما الوثائقيّة
2. الفيلم الوثائقيّ
3. الفيلم التّاريخيّ

المبحث الأوّل: الموقع الفلكيّ والجغرافيّ، والمناخ واستراتيجيّة المكان:

1. **الموقع الفلكيّ:** الإحداثيات 0°05′25 ″E 35°56′00 ″N.

2. **الموقع الجغرافيّ:**

مستغانم، مدينة جزائريّة ساحليّة تطلّ على البحر الأبيض المتوسّط. ثاني أكبر مدينة في الغرب الجزائريّ، ورابع أكبر مدينة ساحليّة في الجزائر، بشريط ساحليّ يمتد على طول 124 كيلومترًا. وبمساحة تقدّر بـــ 2269 كيلومتر مربّع. يحدّها من الشّرق ولايتي الشّلف وغليزان، ومن الجنوب ولايتي غليزان ومعسكر، ومن الغرب ولايتي معسكر ووهران، ومن الشّمال البحر الأبيض المتوسّط[1].

3. **المناخ واستراتيجيّة المكان:**

تتمتّع مدينة مستغانم بمناخ متوسطيّ رطب، حارٌ صيفًا، معتدلٌ شتاءً، وما بين شهري يوليو (جويلية) وأُغسطس (أوت) تهب رياح السّيريكو (ريح الجنوب).

المنطقة ثريّة بغابات كثيفة غنية بأدغالها وثروتها الخشبية، استغلها البحارة الفينيقيّون في إعداد مراكبهم الّتي تصل إلى السّاحل الشّرقيّ لمصب نهر الشّلف، معطوبة من جراء الكوارث البحريّة لتواصل رحلتها إلى قادس في سواحل إسبانيا، وفي الأدغال الّتي كانت تكسوا المنطقة، تعيش فيها حيوانات متوحّشة، منها الفيلة استغلت أنيابها في صناعة الأدوات من العاج والأسود الإفريقية، ودليل ذلك معاهدات الهدنة الّتي وقعها قادة البربر مع الرّومان حيث ينصّ أحد بنودها على منعهم من تدريب الفيلة.

تعتبر قطبًا ثقافيًّا وحضاريًّا هامًا في المغرب العربيّ نظرًا لتاريخها الكبير، وتعاقب الحضارات عليها خاصّة في الفترة الإسلاميّة؛ حيث عاشت أبْها أوقاتها،

[1] https://www.univ-mosta.dz/tarf-ala-wlitt-mstghanm

وأصبحت أهم حواضر الغرب الجزائريّ وكذا في الفترة العثمانيّة عندما صارت عاصمةً لبايلك الغرب.

المبحث الثّاني: أصل تسمية مستغانم:

ذكر اسمها لأوّل مرّة من طرف البكريّ في القرن الخامس الهجريّ. ووصفها الإدريسيّ في القرن السّادس الهجريّ بالمدينة الصّغيرة. كما يفسّر ربّما بطئ نموّها إلى إحاطتها بمدن أكثر أهمية مثل تنس ووهران وتلمسان[1]. وقيل أنّ تاريخ تأسيسها يعود إلى 600 سنة ق.م.

عرفت المنطقة كذلك بتسمية "موريستاقا Moristaga "، أطلقه الرّومان على الموقع الذي تتواجد فيه المدينة الحالية على القوس الشّرقي لخليج مستغانم ثمّ أعادوا بناءها وأعطوها الاسم " كارتِنا Cartenna "، بينما يضمّ قوسه الغربيّ ميناء أرزيو.2، وهناك من قال أن اسمها بربري ومعناه كوخ القصب، وقيل الأرجح مسك الغنائم أو بما تُعْرَفُ بمنطقة الظّهرة.

المبحث الثّالث: ضبط المصطلحات (صدى، الحضارة، الأطلال)

1. **تعريف ومعنى صدى:** معجم المعاني الجامع – معجم عربيّ عربيّ[3]

صدَّى: فعل، صدَّى يصدِّي، صَدِّ، تصديةً، فهو مُصَدٍّ

صدَّى فلانٌ: صفَّق بيديه: تصفيق أو صياح وصفير

صَدَّى الصَّوْتُ: أَحْدَثَ صَدىً، أَيْ تَرَدَّدَ صَدَاهُ. صَدَّى الأَصْوَاتَ: جَعَلَهَا تَتَجَاوَبُ

[1] بلحوزي عبد الله، المظاهر الحضاريّة لمدينة مستغانم في الفترة الإسلاميّة من خلال المصادر التّاريخيّة، مجلة عصور، العدد 26–27، جويلية – ديسمبر 2015، ص122.

[2] رشيد محمّد الهادي بن يونس، نيل الغنائم من تاريخ مستغانم، المطّبعة العلويّة، ط1، مستغانم 1998، ص20.

[3] معجم المعاني الجامع – معجم عربيّ عربيّ، باب الصّاد (صدى)

الصَّدَى: رَجْعُ الصَّوْتِ يَرُدُّهُ جِسْمٌ عَاكِسٌ كَالْجَبَلِ، الصَّوْت الّذي يَرُدُّه الجبل أَوِ الْمَغَارَةِ، أَوْ بَهْوِ قَصْرٍ وَاسِعِ الأَرْجَاءِ.

2. تعريف الحضارة:

تطلق الحضارة على العطاءات والأرصدة المادّيّة والمعنويّة للإنسانيّة. وهذه الحضارة لم تختص بقوم أو جماعة أو جنس معيّن، بل غنّها مشتركة بين جميع أفراد الإنسانيّة لأنّها تعكس وجه التّأريخ الإنسانيّ لجميع الأقوام.[1]

الحضارة لغويا: مشتقة من الأصل اللاتيني Civis مدنى ومدنية Civitas أو الحاضرة أو الحضر، فهي المدن والقرى الّتي تَجَمّع فيها النّاس وحضروا الأمصار ومساكن الدّيار الّتي يكون لهم فيها القرار لإقامة مصالحهم وحياتهم المشتركة وحفظها، فلفظي المدنية والحضارة[2].

الحضارة اصطلاحا: تعبر عن كلّ ما ينشأ عن تفاعل أي إنسان مع بيئته الّتي ينتمى إليها وكلّ ما توصّل إليه من علوم وفنون وعمران داخل التّجمّعات السّكنية وداخل المراكز الحضريّة، ويعبّر عنها بالمدينة، فهي تعنى الأنشطة البشريّة المختلفة في المدن وأيضًا الثّقافة الّتي تستعمل للدّلالة على جميع المناحي الحضاريّة، العلميّة والفنّيّة والأدبيّة وطريقة تفكير تلك الشّعوب داخل المجتمعات بما تتضمنه من عادات وتقاليد وقوانين، فمفهوم الحضارة مرتبط بالتّاريخ لأنّه الزّمن، إمّا الثّمرات الحضاريّة، فهي الإنتاج الفنّيّ والحضاريّ الّذى يستثمر جهد الإنسان المستمر لكى يظهر وينمو، وأيضًا ليُحقق تقدّمَ شعبه ومجتمعه الّذى يعيش فيه. لذلك تعتبر الحضارة وليدة الإنسان وطبيعته وأيضا وليدة اتّصال.

---

[1] علي شريعتي، تاريخ الحضارة، تر. حسين نصيري، مر. حسين علي شعيب، دار الأمير للثّقافة والعلوم، ط2 2007، ص18.

[2] داليا محمد محمود عبد الجواد شرف، كلية التّربية الفنية، جامعة حلوان، بحوث في التّربية الفنّيّة والفنون، المجلد(42)، العدد1.

وعليه، فالتّعريف الإجرائيّ فيكون وفقا لطبيعة البحث الحالي بانه: الاستفادة من تراث فنون الحضارات مثل فنون الحضارة الفينيقيّة القديمة، الرّومانيّة، والإسلاميّة والعثمانيّة الأوروبيّة.

يمكن القول أنّ الحضارة هي محاولات الإنسان الاستكشاف والاختراع والتّفكير والتّنظيم والعمل على استغلال الطّبيعة للوصول إلى مستوى حياة أفضل وهي حصيلة جهود الأمم كلّها[1].

3. تعريف الأطلال:

لغةً: جاء في معجم لسان العرب لابن منظور ما يلي: "والطّلل ما شَخُصَ من آثار الدّيّر، والرّسم ما كان لاصقًا بالأرض، وقيل: طلل كلّ شيء شخصه، وجمع كلّ ذلك: أطلال وطلول، والطّلالة: كالطّلل، التّهذيب: وطلل الدّار، ويُقال: حيا الله طلالك وأطلالك؛ أي: ما شخص من جسدك، وحيا الله طلالك وطلالتك؛ أي: شخصك، ويقال: فرس حسن الطلالة، وهو ما ارتفع من خَلْقه[2].

دعني أفض شؤوني في معالمها ... فالدّمع دمعي والأطلال أطلالي[3]

اصطلاحًا: وهي البقايا الّتي تظهر شاخصة ماثلة فوق الأرض؛ كالأوتاد، والأثافيّ، وبقايا الخيام، والأطلال واحدها طلل، وهو ما شَخُصَ وبرز فوق الأرض من آثار الدّيار[4].

الأطلال أو الأنقاض أو الخرائب، هي بقايا التّراث البشريّ الّتي خُلِفت بسبب دمار نتج عن حرب أو كارثة طبيعية، أو بسبب هجر النّاس المكان فجأة أو تدريجيًا ثمّ

---

[1] شوقي أبو خليل، الحضارة العربيّة الإسلاميّة وموجز عن الحضارات السّابقة، دار الفكر المعاصر، ط1، سوريا، 1994، ص20.

[2] ابن منظور، لسان العرب ، مادّة (طلل)، ص 406 - 407.

[3] ابن القيسراني، محمّد بن نصر، شعر ابن القيسراني، تحقيق: عادل جابر صالح محمّد، الوكالة العربيّة للنّشر والتوزيع، الأردن، د.ط،1991م، ص166.

[4] عزّة حسن، الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، مطبعة التّرقي، دمشق 1968م، ص: 25.

نسيانه. قد كانت هناك مدن كثيرة وكبيرة وطواها النّسيان وأصبحت أطلالًا، "ما شخص من أثار الدّار، والجمع أطلال وطُلول[1]".

بهذا نجد أنّ الدّلالة اللّغويّة لمفهوم الطّلل لا تختلف في المجمل عمّا درج الشّعراء والنّقاد على توظيفه من معنًى. فهي تلك المواضع والأماكن الّتي أقام فيها الشّاعر الجاهليّ في فترة من فترات حياته المليئة بالأحداث والمغامرات، ثمّ جاء زمن واندرست وعفتها الرّياح والرّمال الصّحراويّة الّتي تعاقبت عليها، فلم يبقَ منها غير أجزاء بسيطة شاخصة تُذكِّر الشّاعر عندما يعود إليها ويقف عندها متشوّقًا باكيًا بتلك الأيام الخالية الهنيئة مع الأحبة الظاعنين، فتذرف عيناه دموعًا.

وإجرائيًّا الطَّلَلُ ما بقي شَاخصًا من آثار الدِّيار ونحوها من التّراث الماديّ الّذي – غالبًا – قد تجمّدت وظيفته. أي لم يَعدْ يحمل تلك الرّسالة التّي أُنشئ من أجلها أساسًا لاعتبارات عدّة، لكن هنا استثنينا على الخصوص المساجد الّتي وُظّفت، سواء بُنيَت مساجد أو حُوّلت عن الكنائس إلى مساجد (أُنظر الصّورة رقم 12).

المبحث الثّالث: السّينما الوثائقيّة (الفيلم التّاريخيّ)

1.تعريف السّينما الوثائقيّة:

السّينما أو السّينماتوغراف أي التّسجيل وعبارة سينماتوغراف أي التسجيل الحركي، وهذه الكلمة المتعدّدة المعاني تدلّ في الوقت نفسه على الأسلوب التّقني وإنتاج الافلام صناعةً وعرضًا، وتدلّ الكلمة أيضًا وفي الوقت نفسه على مجموعة التّقنيات والأساليب السّينمائية وعلى ذات النشاط الذي يمكن النظر إليه على الصّعيد الجغرافيّ، فنقول: السّينما الامريكية والسّينما الإفريقية[2]. وصف الإخوان لوميير السّينما في براءة

[1] الإمام عبد القادر الرّازي، مختار الصّحاح، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان 1986م، باب الطّاء

[2] تريز ماري جورنو، معجم المصطلحات السّينمائية، تر، بشور فائز، جامعة السّربون باريس، دون سنة، ص18

اختراعهما، على أساس خاصية الحركة، بأنها آلة لإعادة إنتاج الحياة الحقيقية، لأنّ تسجيل الحركة وتمثيلها هو قدرة السّينما على رسم العالم المرئيّ الّذي تعيد إنتاجه[1].

يقول: **فيتو زجاريو** وأنا مقتنع تمامًا أنّ السّينما شيء أكبر من مجرد عرض بسيط للصّورة والحركة ليشاهدها كلّ من ي[2]دفع بضع نقود، بل إنّه من المتوقّع أن تتحوّل السّينما بمرور الوقت إلى وعي جماعي، والرّباط الّذي يُوجِّه الجميع.

2.تعريف الفيلم الوثائقيّ:

السّينما الوثائقية أكدت على ظهور مصطلح (فيلم وثائقيّ) حينما ورد لأوّل مرة عام 1926م مع المخرج الوثائقيّ البريطانيّ جون جريرسون Grierson John في مراجعته له لفيلم (موانا moana) لروبرت فلاهيرتي الّذي يُعدّ أحد أهم السّينمائيين الوثائقيين. وقال جون جريرسون عن الفيلم الوثائقيّ، أنّه التّجسيد الفنّيّ للواقع. وأكد في عام 1942م على أنّ فكرة الوثائقيات لم تكن في الأساس فكرة فيلم على الإطلاق، وإنّما فكرة جديدة للتّوعية العامّة[3]. وكذلك عرّف المخرج السّوفياتيّ تزيغا فيرتوف Vertov Dzigaالفيلم الوثائقيّ قائلا بأنّه "بناء خلّاق للواقع"[4].

ومن أبرز روّاد الفيلم الوثائقيّ، روبرت فلاهيرتي، تزيغا فيرتوف، جون جريرسون، جون روش، مايكل مور، جاك كوستو، إدجار موران.

3.الفيلم الوثائقيّ التّاريخيّ:

هو روح الشّعوب والبلدان. فلا بلاد للشّعب، ولا شعب للبلاد ما لم يحتفظا بأيّ آثار التّاريخ والعوائد والصّراعات أو الآمال والأفراح والأتراح، لذلك يستجيب الفيلم

[1] مجموعة من المؤلفين، (الفلم الوثائقي مقاربة جدلية،) ط ،1لبنان، دار العربية للعلوم الناشرون،2011، ص33

[2] فيتو زجاريو، تر، فوزي اماني والاخرون، مركز اللغات والترجمة أكاديمية الفنون، مصر 1995، ص18

[3] المرجع نفسه ص40

[4] خليفي جورج: الفيلم الوثائقي ،مركز تطوير الاعلام، ط،1، فلسطين،2014م، ص5

الوثائقيّ لحاجة الذّاكرة إذ يساهم عند بعضهم في تحديد صيغة رائجة من صيغ تثمين الحنين إلى الماضي[1]. يخلو من الهزل، فيلم جاد، يحاول أن يعلّمك شيئًا ما[2]. باعتبار أنّ الفيلم الوثائقيّ التّاريخيّ بتمتع بالمصداقية، وكونه الأقدر على نقل الحقائق والحفاظ على الذّاكرة، وهذا النّوع "يحوي سردًا تاريخيًّا لمواقف مسجّلة، لسياسات، لنكبات، أو حروب حصلت في الماضي[3]. والحاصل أنّ الفيلم الوثائقي التّاريخي نقل للواقع الفعليّ، يحدّثنا عن وقائع وقضايا لِما حصل في الأزمنة الغابرة بكلّ أبعادها الحضاريّة والسّياسية والدّينيّة، ويُوثّق أحداثه من آثار وأرشيف وصوّر مادّية وغيرها، يحمل إبداع القائم على مادّته التّاريخية وفق رؤية فنّيّة.

لقد سعى الإنسان الأوّل إلى أن يُوثّق كلّ ما يراه من أشكال الطّبيعة، ربما خوفًا أو تقرّبًا أو انجذابًا عبر رسومه وخطوطه على جدران الكهوف التي كان يعيش داخلها[4]. ونحن سنحاول جادّين توثيق أطلال الحضارات التّي وطئت أقدامُها أرضَ مستغانم في فليم وثائقيّ قصير.

---

[1] Jean Loup Passek. Dictionnaire du cinéma Larousse

[2] باتريشيا أوفدا هايدي، الفيلم الوثائقيّ، تر: شيماء طه الرّيدي، مؤسّسة هنداويّ، ط1، 2013م، ص09.

[3] الفيلم الوثائقي التّاريخيّ، موقع وكيبيديا 2024م.

[4] علي العقبانيّ، الفيلم الوثائقيّ وجهة نظر ترتكز على الوثائق والحياة، مقال منشور بمجلة آفاق سينمائيّة الإلكترونية، المؤسسة العامّة للسّينما، سوريا، رابط المقال:

http://afakcinemasy.com/page/ar/2029/_/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%84%D9%85+%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AB%D8%A7%D8%A6%D9%82%D9%8A....+%D9%88%D8%AC%D9%87%D8%A9+%D9%86%D8%B8%D8%B1+%D8%AA%D8%B1%D8%AA%D9%83%D8%B2+%D8%B9%D9%84%D9%89+%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AB%D8%A7%D8%A6%D9%82+%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9.html

الفصل الأوّل

صدى الحضارات في أطلال مستغانم – تراث متميّز

المبحث الأوّل: مستغانم مهد الحضارات والأطلال قديمًا وحديثًا.

المبحث الثّاني: الحضارات والأطلال ما قبل الميلاد.

- الفينيقيّون (فينيقيا – Phoivikn) والرّومان

المبحث الثّالث: الحضارات والأطلال بعد الميلاد إلى 1830م.

- الموحّدون والمرينيّون
- الإسبان
- العثمانيّون الأتراك

المبحث الرّابع: الحقبة الكولونيالية الفرنسيّة.

المبحث الأوّل: مستغانم مهد الحضارات والأطلال قديمًا وحديثًا:

مستغانم أو منطقة الظّهرة، شاهد ماديّ للإنسان الحجريّ القديم، مدينة تعاقبت عليها الحضارات لموقعها الاستراتيجيّ على ضفاف البحر الأبيض المتوسّط، تكوّنت منذ العهود الغابرة الضّاربة لعصور ما قبل العهد الفينيقيّ والرّومانيّ، وطئت أرضَها مستعمرات عدّة من فينيقيين ورومانيين وإسبان وأتراك وفرنسيين، وقد جابه مواطنوها كلّ أعدائهم بمقاومات شعبيّة منظّمة، ومن هؤلاء سيدي لخضر بن خلوف الّذي قاوم الإسبان في معركة تعرف بـــ "معركة مزغران معلومة"، وحتى لمّا حلّ الفرنسيّون فكان المستغانميّون صدًا منيعًا لهم، مُخطّطين فداءً لتحرير الوطن.

هذه المدينة ذكرها الجغرافيّ البكري في القرن الخامس الهجري، وما يُوافق الحادي عشر ميلادي قائلًا: "...ومن قلعة دلول هذه ومدينة مستغانم مسيرة يومين، وهي على مقربة من البحر وهي مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء، ويبذر أهلها القطن فيجود، وهي بقرب مصبّ نهر شلف..."[1]

فمن المعتاد والمنطق، أنّ الحضارات تُبنى على ضفاف الأنهار، فكان ذلك متطابقًا مع وصف البكري للمدينة من خلال استراتيجيّة مكانيّة مدروسة، اتّسمت بالعطاء بالطّبيعيّ والصّناعيّ والزّراعيّ، وفي تداخل هجين للعمل والتّجارة.

وبحكم حركيّة المكان ونشاطه، فمع حلول القرن السّادس هجريّ، الثّاني عشر ميلادي، ازدهرت المدينة وتوسّعت لتغطية أغلب الحاجيات اليومية، وقد وصفها الإدريسيّ " وهي مدينة صغيرة بها أسواق، وحمّامات، وجنّات، ومياه كثيرة وسور على جبل مطل على ناحية الغرب..."[2]

[1] البكري أبو عبيد الله، كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدّار العربيّة للكتاب، المؤسّسة الوطنيّة للترجمة والتّحقيق والدّراسات، بيت الحكمة، 1992، ص737.

[2] الشّريف الإدريسيّ، وصف إفريقيا الشّمالية والصّحراويّة، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تصحيح ونشر هينري بيراس، الجزائر 1957، ص 71–72.

الوصف نفسه، إلّا أنّ الإدريسيّ أضاف السّور، وقد تداولت عليه القصد بين سور المطمور أو سور مدينة السّور الحالية، وهنا تتّضح الهندسة في تحصين المدينة.

ولأهميتها فقد زارها كذلك العديد من الرّحالة ذوو شهرة عالمية، وذكروها بمن فيهم ابن بطوطة وابن خلدون واليعقوبي والوزّان، ومن الأجانب نذكر لويس باريو – Louis Pariou وكوريسران – Couresrant

ودينيًّا انحصرت مدينة مستغانم في القرن الثّامن هجري، والرّابع عشر ميلادي لمّا فتح المدينة السّلطان المرينيّ أبي حسن نجد المسجد المرينيّ بحي الطّبانة، الذّي بناه سنة 742هـ الموافق لـ 1341م.

وقد حكم المنطقة كل من الأدارسة، المرابطون، الموحّدون والمرينيون، كما خصعت مدينة مستغانم للحكم العثماني سنة 1516 بعد فترة الغزو الاسباني. حيث لا تزال المعالم العمرانية الحالية تؤخر للحضارة العثمانية، على غرار ضريح الباي مصطفى بوشلاغم، ودار القايد وبرج الترك، وكلها موجودة بوسط المدينة في الأحياء الشعبية العتيقة كحي تيجيدت، طبانة وقادوس المداح، بالإضافة إلى مواقع مماثلة بمناطق متفرّقة، كالسّور ووادي الرايح، البحارة، وموقع كاب إيفي، وكلّها مواقع كانت تستعمل كموانئ في تلك الحقبة.

العهد الزّيانيّ الثّاني: أثناء الفترة الثّانية للحكم الزّيانيّ لمدينة مستغانم، تمّ وصفها من قبل حسن الوزّان والذي قال فيها: "وهي مدينة بناها الأفارقة على البحر الابيض المتوسّط على مسافة ثلاثة أميال شرقي المدينة السّابقة على الجانب الآخر من النهر. وقد كانت مدينة متحضّرة للغاية وآهلة بالكثير من السّكان في غابر الزّمن. ولكن ما إن أخذت سلطة ملوك تلمسان في الضّعف حتى أصبحت عرضة لمضايقات العرب، ففقدت ثلث أهلها. ومع هذا لا تزال تضمّ قرابة ألف وخمسمائة أسرة، ولها جامع جميلٌ جدًا. وفيها العديد من الصّنّاع الّذين ينسجون أقمشة الكتان. وبيوتها جميلة كما تكثر بها موارد المياه. ويجتاز البلدة نهر صغير يحرّك طواحينها. ويوجد في خارج المدينة

الكثير من البساتين البديعة، ولكن معظمها مهجور. والأراضي الّتي حولها جيّدة للزّراعة وخصيبة. ولها ميناء صغير تقصده أحيانا السّفن الأوربيّة، ولكن لا يعقد التّجار فيها صفقات هامّة لأنّ سكانها في فقر مدقع[1]."

المبحث الثّاني: الحضارات والأطلال ما قبل الميلاد:

الفينيقيّون (فينيقيا – Phoivikn) والرّومان:

الحديث عن الفينيقيين وتوسّعاتهم الاستيطانيّة في مختلف أرجاء المتوسّط يأتي في ظلّ إطار عوامل داخليّة، وظروف خارجيّة، كان لها أثرها الواضح في مسيرة الاستيطان والتّوسّع، والّتي يمكن أن نوجزها في تفاعل العوامل الطّبيعيّة والبشريّة[2].

وهناك من المؤرّخين من يعيد فترة الاستيطان الفينيقيّ في غربي المتوسّط إلى القرن العاشر قبل الميلاد على اعتبار أنّ هذا القرن يمثّل العصر الذّهبيّ بالنّسبة للسّاحل الفينيقيّ عامّةً[3]. وقد هاجر الفينيقيّون في شكل دفعات متتالية إلى غربي البحر المتوسّط منذ أواخر الألف الأولى قبل الميلاد، ومن المواقع الّتي شهدت على بصماتهم موقع كيزا.

ميناء كيزا:

تعتبر الموانئ من الانجازات الحضاريّة الّتي تركها الفينيقيّون كشاهد ماديّ أثري، وهي من حصيلة ملاحة البحر المتوسّط، وهي أحد المرافق الحيوية باعتبارها المنفذ الرّئيسيّ الّتي تمرّ من خلاله التّجارة. وحسب العالم الفرنسيّ " بيار سنتاس P. Cintas " أنّ وجود ميناء محمي وله شاطئ ومياهه ضحلة وسهلة لرسو السّفن، هو

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثّلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792 .الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، ص 146.

[2] يوسف الحوراني، الانتشار الفينيقيّ، مجلة "شهادتنا" مجلة شهريّة سياسيّة تصدر عن المجلس السّياسيّ للقوّات اللبنانيّة، عدد تشرين الثّاني، 2.

[3] محمّد الصّغير غانم، التّوسع الفينيقيّ في غربي البحر المتوسّط، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط 1979م، الجزائر، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر، ط 1982م، لبنان، ص 70

من شروط قيام المدن الفينيقيّة[1]. وميناء كيزا في في سيدي بلعطار هي مدينة وبلدية تقع في ولاية مستغانم. كانت المدينة في الماضي مستعمرة للإمبراطورية الفينيقيّة تسمى كويزا كسينيتانا. وميناء كيزا من أقدم الموانئ بالمنطقة، إذ يعود تاريخ ظهوره إلى الفترة الفينيقية، و"هذا الموقع الأثريّ جزء من المملكة النّوميديّة الغربيّة، ملكها ماسسيل"[2]. يقع على ضفاف وادي الشّلف بحوالي 3 كلم، بناه الفينيقيون لتسهيل التّجارة والتّنقّل بين الأقاليم عبر سُفنهم، ليحتله الرّومان بعد ذلك. (أُنظر الصّورة رقم 01 لسفينة فينيقيّة في الملاحق)

يُعدُّ الميناء موقعا استراتيجيا هامًا يتميز بخصوصيات مدينة عرفت عمرانًا مهمًا، يتوفر هذا الموقع على منشآت حمامية، زيتية، ومساحة باطنية وعدد كبير من الصّهاريج تحت الأرض. (أُنظر الصّورة رقم 02 في الملاحق)

إنّ وجود كثرة البقايا الأثريّة ومواقع المدن والمحطّات، يعكس جوانب اللّمسات الحضاريّة ذات التّأثير الفينيقيّ البونيّ[3].

زمن الأثار، الفخار المحليّ الصّنع ولونه رمادي أو الأسمر يتمثّل في القدور والصّحون العميقة والمسطّحة، والكؤوس، والفناجين، والمصابيح، وهي تحمل زخارف هندسيّة بسيطة. (أُنظر الصّورة رقم 10 لأواني فخاريّة نُقلت إلى برج التّرك في الملاحق)

الفخار المصبوغ المتقن الصّنع وهو ذو تأثير أجنبيّ سطحه مملس يستعمل فيه الصّلصال ومزخرف بألوان سوداء أو حمراء[4].

---

[1] Cintas. P, Op,Cit, (RAFR), P 264-265.

[2] رشيد محمّد الهادي بن يونس، مرجع سبق ذكره، ص44.

[3] عبد المالك سلاطنية، المستوطنات الفينيقيّة – البونيّة في الحوض الغربيّ للبحر المتوسّط، أطروحة دكتوراه العلوم في التّاريخ القديم، إشراف: د. محمّد الصّغير غانم، جامعة منتوري، قسنطينة، ص08.

[4] قوعيش شريف، التّأثيرات الفينيقيّة في غرب البحر المتوسّط، المجلة الجزائريّة للبحوث والدّراسات التّاريخيّة،ج2، ع4، ديسمبر2016، ص64.

الفترة الفينيقيّة هي الحلقة المُضيئة في تاريخنا الحضاريّ، الّتي أخرجتنا من فترة ما قبل التّاريخ وعالم الشّفاهيات الّتي كانت سائدة قبل ذلك، حيث استعمل أسلافنا الاوائل الكتابة لأوّل مرّة في معاملاتهم، وهي المرحلة الّتي جعلتنا ننفتح على حضارات البحر المتوسّط ونشارك فيها فاعلين[1]. ومن هنا نستنتج مدى التّفاعل الحاصل بين الشّرق والغرب متأثّرين ومؤثّرين، فتوالد الامتزاج الحضاريّ والثّقافيّ خلّف أثارًا مُشيرةً إلى بصماته.

المبحث الثّالث: الحضارات والأطلال بعد الميلاد إلى 1830م:

1. مسجد السّيّدة خديجة رضي الله عنها:

يعود تأسيس هذا الصّرح الدّينيّ إلى القرن الحادي عشر للميلاد، في عهد الدّولة المرابطيّة، وهو أقدم مساجد المدينة، يقع في مزغران، وهي الأخرى كذلك من أقدم المدن شهدت وقفات تاريخيّة فاصلة فيما تُعرَف بمعركة مزغران معلومة. (اُنظر الصّورة رقم 11 في الملاحق)

2. الموحّدون: جدار السّور:

وعند تتبعنا لوادي الشلف إلى الجنوب، نجد السّور المُوَحِّديّ الذي يرجع بناؤه إلى الفترة الموحّديّة، ويبعد عن عاصمة الولاية بـــ 23 كلم، هو عبارة عن سور أثريّ وجزء من تحصينات عسكريّة ودفاعية لحماية المنطقة من الغارات والحروب. يعود لعهد الموحّدين في القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر للميلاد. يقع السّور في بلدية السّور التّابعة لولاية مستغانم، يطل على واد الشّلف، وهو من أهم الأسوار الّتي تم بناؤها في المنطقة، والشّاهد الوحيد على وجود حضارة ترجع إلى الفترة الموحديّة. وقد تمّ تسمية البلدية نسبة إلى هذا المَعلم الأثريّ الموجود فيها. (اُنظر الصّورة رقم 03 في الملاحق)

[1] محمّد الصّغير غانم، المظاهر الحضاريّة والتّراثيّة لتاريخ الجزائر القديم، ج1، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ص ذ.

3. المرينيّون: المسجد المريني:

جامع الطبّانة، أو المسجد المريني، هو عبارة عن مسجد تاريخيّ يقع في مدينة مستغانم في الجزائر بُني المسجد على يد سلطان بني مرين، أبو الحسن علي بن عثمان، والمعروف باسم أبو الحسن المريني، وذلك في القرن الثّامن هجريّ، الرّابع عشر ميلاديّ، عام 1341م. والدّليل لوحة من الرّخام منقوشة بخطّ أندلسيّ تصف لنا وصفًا دقيقًا ومهمًّا لما قام به السّلطان المرينيّ أبي الحسن بعد فتحه لمدينة مستغانم. (أُنظر الصّورة رقم 05 في الملاحق) وهي اللّوحة التّأسيسيّة للمسجد الّذي بناه سنة 742هـ/1341م، كما يشير إليه نصّ اللّوحة[1] (أُنظر الصّورة في الملاحق) تم ترميم المسجد عدة مرات في الفترات اللاحقة مما أثر على أصالته جراء استخدام مواد لا تتناسب مع تصميمه المعماري وحقبته التاريخية. (أُنظر الصّورة رقم 04 في الملاحق)

الأحياء القديمة: وادي عين الصّفراء يفصل بين طبقتين، فالضّفة اليسرى من الوادي يمثّلها حيّ الطّبانة، والضّفة الأخرى يمثّلها حي المطمور وتجديت.

الطّبانة: مدينة عثمانية، وهذه التسمية مأخوذة من كلمة تركية تستعمل في المجال العسكريّ، وتعني قاعدة أو مدفع أو بطارية المدفع، هذا ما يؤكد على الأهمية العسكريّة لحي الطّبانة العتيق، لأنّه يقع بتلة قريبة من البحر. إذ يعود تاريخها إلى القرن العاشر والحادي عشر ميلادي وهي قائمة على تخطيط عام يرتكز أساسًا على العناصر المعماريّة الموجودة في المدن الإسلاميّة والّتي تضمّ: المسجد المريني، دار القاضي، دار حميد العبد، السّوق، وملاحقها من منازل وحمامات وشوارع ودروب وأضرحة وغيرها. (أُنظر الصّورة رقم 12 في الملاحق)

[1] بلحوزي عبد الله، المظاهر الحضاريّة لمدينة مستغانم في الفترة الإسلاميّة من خلال المصادر التّاريخيّة، مجلة عصور، العدد 26–27، جويلية – ديسمبر 2015، ص122

المطمور: الاسم نسبة للمطامير الّتي وكان يخزن فيها الطّعام لأهل الصّحراء والضّيوف، ثم ارتبط بالتّجار الّذين يخزنون المحاصيل والسّلع والمنتوجات في مخازن الحبوب الّتي بناها حميد العبد. ويضم هذا الحي عدّة معالم أثريّة وتاريخيّة.

تجديت: اسم أمازيغيّ تعني الأساسات أي المدينة العربية القديمة الّتي كان يسكنها البرانية، وهم العمال الّذين كانوا يقصدون مدينة مستغانم التّركية والحضريّة للعمل، حيث كانوا يعبرون يوميًا باب المجاهر، وهو أحد الأبواب السّتة للمدينة. كما يطلق على تجديت أيضا تسمية القاهرة و قصبة مستغانم، فهي لا تزال قائمة بجوار البنايات الحديثة والمدينة العصرية كما أنّها تضمّ عدّة معالم تاريخيّة وتراثيّة قديمة تشهد على مختلف مراحل الحضارات.

الدّرب: حيٌّ قديم حيويّ في التّجارة والصّناعات النّحاسيّة، سكنه اليهود سنين طوال، وما زالت إلى اليوم آثار بنايات شاهدةً.

الدّور: ومن معالم المدينة الّتي تركت صداها أطلالًا الدّور العثمانيّة:

دار القايد: بني هدا المعلم في العهد العثماني يحمل طراز معماري أصيل يشغل حاليا متحفا للفنون الشعبية.

دار حميد العبد: أحد زعماء قبيلة المحال المدعو حميد العبد الدي عاش القرن16م سنة1517م لقب بحميد العبد لسواد بشرته، وكان يلقب بحميد الأسود أو العبد، وبنى هدا المنزل له الّذي يوجد في وسط المدينة القديمة، ويعرف بمنزل "حميد العبد[1]". كان سلطان المدينة، وقد أعاد بناء أسوارها. (أُنظر الصّورة رقم 06 في الملاحق)

دار القاضي أو دار الشّعراء: يعود تاريخ بنائها إلى الفترة العثمانية ، بنيت بأمر من الباي محمّد الكبير سنة1732م يقع بجانب المسجد العتيق.

الأبواب: حصن المدينة المنيع استدعى تنظيم المخارج والمداخل من جهات مختلفة في ستة أبواب:

[1] Bodin (M); Tradition indigénes sur Mostaganem intinénne Historique et Légendaire de Mostaganem et de sa région, Oran, (S.D), P.35.

باب معسكر: أطلق نسبة إلي طريق الرّابط بين جنوب المدينة ومعسكر، وهو من أبواب الرّئيسية في المدينة في العهد العثماني باعتبارها كانت عاصمة بايلك الغرب.

باب مجاهر: أطلق نسبة إلي قبائل مجاهر الّتي تسكن المنطقة، وكان معبرًا لتسوّق وبيع المنتوجات مع العلم لم يبق منه في الوقت الحالي إلّا فضاءه المعماريّ.

باب الجراد: يقع بجانب السّور الغربيّ للمدينة، وتشير المصادر إلى أنّ خير الدّين بربروس هو الّذي قام ببنائه.

إضافة إلى وجود عدة أبواب كباب البحر، وباب العرصة وباب وهران. وهده الدّور والأبواب عنصر مادّيّ ورمز توثيقيّ، ودلالات لا يمكن الاستغناء عنها، وتعتبر أيضًا ذاكرة تحتوي على قيمة حضاريّة[1].

4. الإسبان:

وفي عام 1511، فرض الإسبان على سكان مستغانم معاهدة استسلام. ولمنع هذا الاحتلال، استولى العثمانيّون على المدينة عام 1516. وبعد عدة سنوات من المقاومة، ناشد السكان خير الدين بربروسا الّذي ألحقوا بمساعدته هزيمة خطيرة على الإسبان خلال معركة مزغران 1558 .ثم مرّت مستغانم تحت سيطرة العثمانيّين، وقام خير الدين بتوسيعها وتحصينها. ثمّ أصبحت مستغانم منافسة لوهران الإسبانية، وشهدت أهميتها تتزايد وكانت مستغانم ترمز بعد تلمسان إلى إحدى أهم مدن بيليك الغربية. احتل الإسبان وهران سنة 1144هـ/1732م، شرع الباي بوشلاغم بنقل عاصمته إلى مستغانم. ولمّا علِم بالخطر المحدق ضاعف من تحصيناته الدّفاعيّة، وشنّ عدّ هجمات لاسترجاع وهران لكنّها باءت بالفشل. وبقي بالمدينة إلى أن توفي بها سنة 1146هـ/1734م[2].

[1] جمال عليان، سلسلة عالم المعرفة، الحفاظ على التّراث الثّقافيّ، مطابع السّياسة - الكويت، ع322، 2005م، ص11

[2] محمّد بن يوسف الزّيانيّ، دليل الحيران وأنيس السّهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، 1978، ص193.

5. العثمانيّون الأتراك:

في القرن السّادس عشر، كانت مستغانم حصناً حقيقيًا، وأساسًا لإعداد الُعدّة لمطاردة الإسبان أو لمنعهم من القيام ببعثات منها الى الخارج ضدّ الجزائر.

فتحت مستغانم من طرف العثمانيّين في القرن16م، اتخذت المدينة منعطفًا حاسمًا ويعتبر العهد العثمانيّ بمثابة العهد الذّهبيّ بعدما تولى الباي مصطفى بوشلاغم زمام الحكم، وجعلها عاصمة لبيلك الغرب الجزائريّ.

عرفت المدينة حركة عمرانية نموًا واتّساعًا وانتعاشًا غير مسبوق، وعليه انقسمت المدينة إلى جزأين، يفصل بينهما وادي عين الصّفراء. يقول تيرو Thireau: "كان بالمدينة نواتان يفصل بينهما وادي عين الصّفراء على الضّفة اليسرى منه كانت تقيم الطّبقة الغنية (العائلة الحاكمة) يقصد حي الطّبانة، بينما الضّفة اليمنى كانت مقرّ للجند الأوجاق، وعامّة النّاس، ويقصد حي المطمور وتجديت[1]" وبين الضّفتين جسر خشبيّ يربط بينهما سنة 1251هـ / 1835م

ضريح الباي مصطفى بوشلاغم: عبارة عن ضريح ينسب إلى الباي بوشلاغم الّذي كان حاكما على منطقة وهران مقرّ البايلك مند فتحها سنة1120هـ /1708م إلى غاية1732م، يعود تاريخ تشييده للعهد العثمانيّ، "حيث قام هذا الباي ببناء عدّة منشآت عبر كامل الأيالة، منها بناءه لضريح يُعرَف باسمه اليوم، وحبسه للدّفن له ولعائلته، وكتب عليه اسمه وتاريخ بنائه، ويُنسَب إليه أيضًا حصن التّرك[2]". وكلاهما يوجدان بحي المطمور في أعالي مستغانم. (أُنظر الصّورة رقم 09 في الملاحق)

[1] Thireau (L); Mostaganem et ses environs, historique, administration, description, renseignements généraux, Mostaganem; 1912; P12.

[2] الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السّعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التّاسع عشر، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلاميّ، ج1، بيروت، 1990، ص167.

برج التّرك:

برج التّرك هو عبارة عن حصن تاريخيّ يقع في مدينة مستغانم، ويشرف على أحيائها العتيقة. برج عسكريّ يعود تشييده إلى العهد التّركيّ، يقع شرق المدينة العربية. بُني الحصن خلال العهد العثمانيّ في القرن السّادس عشر الميلاديّ وذلك لأغراض الدّفاع عن المدينة، وقد تمّ استخدامه كثكنة عسكريّة في القرن التّاسع عشر خلال فترة الاحتلال الفرنسيّ للجزائر. ورُمِم البرج، وحُوِّل إلى متحف في عام 2004م.

وصفه القائد بوتن Boutin المدينة بأنها مدينة صغيرة محصّنة ولا يوجد بها حركة تجاريّة، تقاوم المدينة الهجمات الخارجية بواسطة الحصن الّذي يقع على مرتفع من المدينة (يقصد به حصن التّرك)، وهو مُحاط بـــ 15 إلى 20 مدفعًا[1].

في متحف برج التّرك توجد أدلة عن ازدهار الصّناعة الفخاريّة إلى توفر الموارد البيئية منها الطّين والصّلصال، واستعملت لأغراض منزلية كالطّهي وحفص الثّمار والأسماك، واستعمال الحجارة مثل طاحونة الزّيتون لإنتاج وزيت الزّيتون، والخشب في صناعة الأبواب، والرّكائز والأعمدة للسّقوف وغيرها. (أُنظر الصّورة رقم 07 و08 في الملاحق)

الحقبة الكولونيالية الفرنسيّة وطمس الأثار:

هذه الفترة طويلة جدًا إذا سلّمنا أنّ الاستدمار شارك فعليًّا في رسم معالم المدينة تخطيطًا بنية الاستيطان، هذا من جهة، ومن أخرى حاول في أكثر من مرّة محوَ التّاريخ التّليد، ونذكر هنا لمّا حوّل المعالم الأثريّة لصالحه، وقد أخرجها من وظيفتها مثل مسجد السّيدة خديجة رضي الله عنها لمّا حوّله إلى كنيسة عام 1884م، (أُنظر الصّورة رقم 11)، كما فعل كذلك مع المسجد المرينيّ في قبل عهد نابليون

[1] Botin; Reconnaissance des villes fort et batteries d'alger publiés par Gabriel esquer, Paris,1927; P124.

بونابرت. ولم تخلُ المعالم الدّينيّة من طمس الهوية، بل حتى الحصون والأبراج العسكريّة مثل برج التّرك الّذي اتّخذه قاعدة عسكريّة له، وراح مستثمرًا دهاليزه مقرّا للتّعذيب والإبادة.

أبرز مختصّون في علم الآثار خلال يوم دراسيّ حول التّراث الماديّ الجزائريّ وامتداداته الأفريقية، بأنّ "البحوث الأثريّة المنجزة خلال الفترة الاستعماريّة اعتمدت مصطلحات مقصودة بهدف طمس أصالة الّتراث الثّقافيّ الجزائريّ وجذوره الممتدة عبر العصور"[1]. ويعلّق **موريس فاغنر** على ذلك: "هكذا اعتدت فرنسا على حرمات المسلمين، وذلك ما لن يغفره لها الجزائريّون ولن ينسوه أبدًا[2]"

توصيات:

مستغانم وموقعها الاستراتيجي جعلها موطنا لأقوام بشريّة هاجرت إليه عبر عصور غابرة، لاتزال شواهدها المادّية مندثرة تحت الطّبقات الحضارية، وعليه فهي بحاجة إلى دراسات أركيولوجية تثري تاريخ المنطقة القديم، وترفع الأنقاض عن حضارة العناصر البشريّة الّتي عاشت هنا.

لمستغانم تاريخ عريق هجين يعتبر بمثابة قاعدة سياحيّة استثماريّة، إذ يجب وضع استراتيجية سياحية لاستغلال وتثمين هذا الموروث الدّاعم للاقتصاد، إذ تعتبر السّياحة في بعض الدّول ركيزة اقتصاديّة بامتياز من خلال جملة المؤهّلات والمقوّمات الطّبيعية، الأثريّة والتّاريخيّة، والمرافق والهياكل الّتي تتوفر عليها.

[1] https://www.elitihadcom.dz/%D9%85%D8%AE%D8%AA%D8%B5%D9%88%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A2%D8%AB%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D9%88%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AB%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7/

[2] د/ محمّد حمّودي، صورة الجزائر إبّان الاحتلال من خلال كتابات الرّحال الألمانيّ موريس فاغنر، مجلة الموروث، العدد 02، 2013م، ص301.

فهذا التّراث الماديّ طاقة هائلة ومورد – مالي – يدعم الخزينة العموميّة اقتصاديًّا محقّقًا مداخيل هائلة.

مراعاة العمق التّاريخيّ للأبنية الأثرية والمعالم القديمة وفق سياسة المحافظة أثناء التّعامل معها، باحترام أساليب الصّيانة أو التّرميم أو التّأهيل تثبيتًا لسِمات عمقها التّاريخيّ والجماليّ والفنّيّ. وأودّ أن أُشير هنا إلى المسجد المرينيّ الّذي تغيّبت معظم معالمه الدّاخلية خاصّة.

فرض الحماية على الأثار والمدن القديمة ذات القيمة التّاريخيّة مثل موقع مدينة كيزا، وجدار السّور، وواد الرّايح، وتسجيل جميع تراثنا الماديّ في منظمة اليونيسكو على اعتبار الجزائر الثّانية من حيث التّراث والآثار العثمانية بعد تركيا، والثّانية من حيث الآثار الرّومانية بعد إيطاليا، والثّالثة من حيث آثار الأندلسيين بعد إسبانيا والبرتغال.

الفصل الثّاني

تصوير الفيلم الوثائقيّ

(صدى الحضارات في أطلال مستغانم)

المبحث الأول: تعريف الفيلم الوثائقيّ، والوثائقيّ التّاريخيّ

1.تعريف الفيلم الوثائقيّ

2.تعريف الفيلم الوثائقيّ التّاريخيّ

المبحث الثّاني: بطاقة تقنية عن الفيلم مع ملخّص الفيلم

1.بطاقة تقنية عن الفيلم

2.ملخّص الفيلم

المبحث الثّالث: خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ

1.خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ (مرحلة ما قبل الإنتاج)

1.1- مرحلة تحديد نوع الفيلم، وجمع المعلومات

2.1- مرحلة التّقطيع التّقنيّ

3.1-مرحلة كتابة نصّ التّعليق الصّوتي للفيلم الوثائقيّ

2.خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ (مرحلة الإنتاج)

- مرحلة التّصوير

3.خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ (مرحلة ما بعد الإنتاج)

1.3 - مرحلة المونتاج والميكساج

2.3- الصّورة والصّوت (موسيقى، تعليق، ومقابلات) والجنيريك.

المبحث الأوّل: بطاقة تقنية عن الفيلم مع ملخّصه والتّعليق الصّوتي:

1. بطاقة تقنية عن الفيلم الوثائقيّ: صدى الحضارات في أطلال مستغانم:

معلومات عامّة	
عنوان الفيلم	صدى الحضارات في أطلال مستغانم
الصّنف الفنّيّ	فيلم وثائقيّ تاريخي
تاريخ الإصدار	جوان 2024م
مدّة العرض	13 دقائق
العرض	ملوّن
البلد	الجزائر- جامعة مستغانم عبد الحميد بن باديس (قسم الفنون)
الطّاقم	
المخرج	عزّالدّين عبد العزيز
التّصوير والتّركيب	عزّالدّين عبد العزيز
التّعليق	بقدور محمّد

2. ملخّص الفيلم:

يصوّر الفيلم الحضارات الّتي مرّت على أرض مستغانم قبل الميلاد وبعده، وقوفًا عند أهم المعالم والأثار التّاريخيّة والأثريّة.

المبحث الثّاني: خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ

1. خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ (مرحلة ما قبل الإنتاج)

1.1- مرحلة تحديد نوع الفيلم وجمع المعلومات:

الفيلم الوثائقيّ الّذي راق إليَ رغبة وذوقًا الفيلم الوثائقي التّاريخيّ، الّذي يبحث في الماضي التّليد المجيد لِما صنعته آلة الحضارة انذاك، وخلّفت إرثًا مميّزًا في صدى معالمَ وأثارٍ ما زالت تجابه الزّمان، وكان العنوان: صدى الحضارات في أطلال مستغانم.

أمّا مرحلة جمع المعلومات: في هذه المرحلة بعد اختيار الموضوع، خطّطنا لجمع المادّة العلميّة من مختلف المصادر، من كتب ومجلّات ومقابلات لأخصائيين في المجال، وصوّر وآثار مادّيّة وغيرها.

2.1- مرحلة التّقطيع التّقنيّ: وهنا بدأنا العمل النّظريّ، أو الفيلم المكتوب برصد شريط الصّورة، وشريط الصّوت حسب الجدول التّالي:

شريط الصّورة								شريط الصّوت		
رقم اللّقطة	نوع اللّقطة	مضمون اللّقطة	حركة الكاميرا	زاوية التّصوير	المدّة	التّعليق	الموسيقى	الضّجيج
01	جنيريك البداية				39 ثا	/	موسيقى رومانيّة	/
02	عامّة	صورة الأرض من الفضاء	زوم	فوقية	22 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	/
03	عامّة	ولاية مستغانم	متحركة	فوقية	10 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	/
04	قريبة	فاضل عبد القادر مؤرّخ	ثابتة	أماميّة	24 ثا	حديث	موسيقى عربيّة	/
05	عامّة	حدود الولاية	علويّة	أماميّة	09 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة	/
06	قريبة	صورة للبحر الأبيض المتوسّط	من الأعلى إلى الأسفل	فوقية	09 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة "القانون"	/
07	عامّة	صورة كيزا من الفضاء	ثابتة	فوقية	16 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	/
08	مقرّبة جدًّا	آثار كيز 03 صوّر+ جنود فينيقيين	ثابتة	أمامية	10 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	صوت حرب بالسّيوف
09	موسّطة مستوى الخصر	الحاج كيّاس مؤرّخ	ثابتة	جانبية	01 د	حديث	موسيقى رومانيّة	/
10	قريبة	آثار أحجار	ثابتة	أماميّة	08 ثا	/	موسيقى رومانيّة	/
11	عامّة	ظهور المصوّر المخرج	ترافلينغ إلى الأمام	جانبية وخلفية	19 ثا	/	موسيقى رومانيّة	/
12	عامّة	السّور	ثابتة	أماميّة	05 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	/
13	قريبة	السّور	بانوراميّة من اليمين إلى	أمامية	14 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	/

					اليسار			
14	عامّة	السّور	صورة من الفضاء	أماميّة	10 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	/
15	عامّة	جدار السّور	ثابتة	أماميّة	04 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	/
16	عامّة	السّور قديمًا	ثابتة	أماميّة + جانبيّة	04 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	صوت حوافر الخيل مع الجنود
17	عامّة	جدار السّور	من الأعلى إلى الأسفل	أماميّة	08 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	/
18	عامّة	منطقة السّور	بانوراميّة من اليمين إلى اليسار	فوقية	10 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	صوت حوافر الخيل
19	قريبة مستوى الصّدر	الحاج كيّاس مروّخ	ثابتة	جانبية	47 ثا	حديث	موسيقى رومانيّة	/
20	عامة	الطّبانة	من الأسفل إلى الأعلى والعكس	جانبية+ أماميّة	10 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة (القانون)	/
21	عامّة	ضفة العرب والأتراك	صورة من الفضاء	فوقية	10 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة (القانون)	/
22	متوسّطة	المسجد المرينيّ قديمًا	ثابتة	أماميّة	07 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة (القانون)	/
23	متوسّطة	المسجد المرينيّ خارجيًّا	من الأعلى إلى الأسفل+ثاتة	أماميّة	30 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة (القانون)	/
24	عامة	المسجد المرينيّ داخليًّا	من الأعلى إلى الأسفل	أماميّة	16 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة (القانون)	/
25	قريبة مستوى الصّدر	يوسف بن قطاط مؤرّخ	ثابتة	أماميّة	18 ثا	حديث	موسيقى عربيّة (القانون)	/
26	عامّة	دار القاضي	بانورامية من اليسار إلى اليمين	أماميّة	09 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة (القانون)	/
27	قريبة مستوى الصّدر	نورالدّين ولد الباي مؤرّخ	ثابتة	أماميّة	19 ثا	حديث	موسيقى عربيّة (القانون)	/

28	عامة	الطّبانة وما جاورها	ثابتة	فوقية	25 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة (القانون)	/
29	قريبة	فاضل عبد القادر مؤرّخ	ثابتة	أماميّة	23 ثا	حديث	موسيقى عربيّة	/
30	قريبة	دار حميد العبد	ثابتة	أماميّة	12 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة	/
31	عامة	حي قصبة تجديت الدّرب	ترافلينج إلى الأمام + ثابتة	فوقية	28 ثا	تعليق	موسيقى عربيّة (القانون)	/
32	عامة	برج التّرك	بانورامية من اليمين إلى اليسار	جانبية وفوقية وتابتة	31 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	/
33	قريبة مستوى الصّدر	عقيلة قدّور مديرة متحف البرج	ثابتة	أماميّة	25 ثا	حديث	موسيقى رومانيّة	/
34	قريبة	مدفع البرج	ترافلينج إلى الامام	فوقية	06	/	/	صوت قذيفة المدفع
35	عامة وقريبة	واد الرّايح	ثابتة لسبعة صوّر	أماميّة وجانبية	28 ثا	تعليق	موسيقى رومانيّة	/
36	قريبة مستوى الصّدر	الحاج كيّاس مروّخ	ثابتة	جانبية	01د و05 ثا	حديث	موسيقى رومانيّة	/
37	قريبة مستوى الصّدر	الحاج كيّاس مروّخ	ثابتة	جانبية	42 ثا	حديث	موسيقى رومانيّة	/
38	جنبرك النهاية				12 ثا	/	موسيقى رومانيّة	/

3.1- مرحلة كتابة نصّ التّعليق الصّوتي للفيلم الوثائقيّ:

على هذه الأرض ما يستحق الغور في جذور ما قبل التّاريخ وبعده تَقَصِيًا لمعالم باتت جزءًا لا يتجزّأ من حضارات مرّت من هنا، مرّت على مدينة مستغانم بما تُعْرَفُ بمنطقة الظّهرة أو موريسْتاقا أو كارتينا أو كوخ القصب أو على الأرجح "مسك الغنائم"، الّتي تمتد على مساحة تقدّر بـــ 2269 كيلومتر مربّع، وبشريط ساحلي يمتد

على طول 124 كيلومترًا، المتمتّعة بمناخ متوسطي، حارٌ صيفًا، معتدلٌ شتاءً، وما بين شهري يوليو (جويلية) وأُغسطس (أوت) تهب رياح السّيريكو (ريح الجنوب). ريحٌ تصدّت لها أطلال حضارات تداولت عليها السّنون قائمةٌ على ضفاف الأنهار، وقد اتّخذت ترسم مكانها بمنطقة سيدي بلعطار بمسمى "ميناء كيزا"، إذ أظهرت الآثار كاشفة أسرار المدينة الفينيقيّة والرّومانيّة، ويعود ذلك إلى العصر الحجري الأول ما بين 30 و32.000ق.م، والعصر الحجري المتوسط. ولا شكّ أنّ هذه الاستراتيجيّة المكانيّة هي ما جلبت عدّة حضارات ومنها الحضارة الموحديّة الّتي أرست هي الأخرى غير بعيد من هنا، إلى ناحية الجنوب أين نجد السّور المريني.

يعود تاريخ إقامة هذا السّور أو الحصن المحيط بمركز البايلك والذي وضع لصدّ هجمات المسيحيين. هذا البناء الّذي تجاوز سبعة قرون مُلخّصًا حِقبًا حضارية كشاهد تاريخي وأحد أطلال المنطقة المطلّ على ضفاف نهر الشّلف ذِي الطّبيعةِ الخلّابة، السّاحرةِ مناظرُها.

هذه المعالم التّاريخيّة لم تكن محصورة خارج قلب المدينة فقط، بل وُجدت معالم أخرى، منها ما أسّس للمنطقة. "دار حميدة العبد" من أطلال صمدت طيلة آخر عشرة قرون.

من معالم المدينة الدّينيّة وأبرز صُروحها، المسجد المرينيّ الّذي بناه السّلطان الحسن علي المرينيّ لمّا كانت مستغانم خاضِعةً لسلطان الدّولة المرينيّة في أواخر القرن 7 هجري والقرن 8 هجري، ليكون المسجدُ نقطةَ انطلاق في بناء مدينة مستغانم القديمة عام 740 هجري الموافق لــ 1341م، يُشرف على وادي عين الصّقراء، يحوي 450 عمودا، دار القاضي المجاورة للمسجد المرينيّ الأقدم من نوعه عبْر مخلّفات الفترة المرينيّة إذ كان مركزًا للقضاء أنداك موجودٌ بحي الطّبانة العتيد، وهو أحد أقدم الأحياء الّتي تعرفها المدينة، والّذي مازال هيكله قائمًا حتى الآن كتراث وطنيّ، وإلى جانب السّور المحيط بمركز البايلك والّذي وُضِع لصدِّ هجمات المسيحيين.

وتبقى الآثار الحالية شاهدة على ذلك، فدار القاضي هذه قد أخذ وجودها مكانا استراتيجيا ضمن عمارة المدينة، حيث كان وسطا بين تجمعين سكانييْن يفصلهما واد معروف بوادي عين الصّفراء، فالضّفة الغربيّة منه كانت تسكنها العائلات التّركية، أمّا الضّفة الشّرقية المقابلة فهي للأهالي وكان الجميع يتقاضى بدار القاضي الواقعة بالضّفة الغربيّة بحي الطّبانة.

هناك مَعْلَمٌ أثريٌ آخر تعتز به المدينة، والذي يتمثّل في متحف الآثار المعروف ببرج التّرك، وهو عبارة عن برج عسكريّ يعود تشييده إلى العهد التّركيّ، يقع شرق المدينة العربيّة العتيقة، والّتي يعود تاريخها إلى القرن العاشر والحادي عشر ميلادي، يُشرِف هذا المَعْلَمُ على عِدَّةِ أحياء شعبية قديمة، وهي تجديت والمطمر من الغرب، والعرصة من الشرق، ويعود تاريخ بناء هذا المَعْلَم إلى العهد العثمانيّ، يُقال أنّه تُركيُّ الأصل، إلّا أنّ الاختلافَ قائمٌ حول الشّخصية الحقيقية الّتي أمرت ببنائه. فهناك من يرى أنّ حميد العبد أحد أمراء العرب الذي حكم مدينة تنس في حدود القرن السّادس عشر الميلادي، والبعض الآخر يرى بأنّ الباي بوشلاغم (باي وهران) هو الّذي بناه قبل وفاته سنة 1737، إلّا أنّ عامّة النّاس تؤكّد على أنّ البرج بُنِيَ من طرف الأوّل ورمّم من قبل الثّاني، وفي غياب الأدلة المادّيّة يصعب التّأكّد والحسم بدّقة في تاريخ بنائه، إلّا أنّه يرجع وبدون تحفّظ إلى الفترة التّركية، عِلمًا أنّه أُجْرِيَتْ له عملية ترميمية ليُصبِحَ مِتحفًا لآثار مدينة مستغانم منذ عام 2004م

2. خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ (مرحلة الإنتاج)

– **مرحلة التّصوير:** وهي أهمّ مرحلة تحاكي أفكار المخرج ورؤيته استنادًا إلى جدول التّقطيع التّقني، وتتبعنا التّصوير بدقّة، مستعملين آلة التّصوير Caméra Sony A65 ، وحاملها ثلاثي الأرجل، وأدعمنا ذلك بهاتف نقّال وحامله ثلاثي الأرجل كذلك. كما تنقلنا إلى عين المكان – طبعًا – تصريح الجامعة ومديريّة الثّقافة مع إبلاغ الأمن قبل التّنقل لمكان المعالم التّاريخيّة والأثريّة.

3. خطوات تصوير الفيلم الوثائقيّ (مرحلة ما بعد الإنتاج)

1.3- مرحلة المونتاج والميكساج: بعدما أنهينا التّصوير الخام، انتقلنا إلى مرحلة تمييع واختيار أحسن اللّقطات والمقابلات والصّوّر، وشرعنا في التّركيب مع دمج الصّوت، وهنا أقصد الموسيقى التّصويريّة، والمؤثّرات الخاصّة، سواء ما تعلّق بالصّورة او الصّوت. ثمّ بعد تسجيل الصّوت على حدى أدمجنا الصّوت تطابقًا مع الصّورة اي عملية الميكساج. وللتّنويه فقد استعملت برنامج:[1]

MAGIX Vidéo deluxe MX Premium Version 2020

2.3- الصّورة والصّوت (موسيقى، تعليق، ومقابلات) والجنيريك:

الصّورة: اختيار اللّقطات المناسبة بعد تنقيحها، وإعادة تقطيعها، وإضافة المؤثّرات الخاصّة لها إن استدعت الضّرورة إلى ذلك توضيحًا.

الموسيقى التّصويريّة: موسيقى رومانيّة، وتركيّة بدون حقوق، وأخرى لآلة القانون، وآلة العود، وموسيقى أخرى تتفاعل مع نصّ الجنيريك.

التّعليق الصّوتي: كتابة النّصّ، والقيام بعملية الميكساج تطابقًا مع اللّقطات والأحاسيس.

الصّوت: تسجيل الصّوت وحده (المقابلات)، وأحيانًا أبقينا على الصّوت الطّبيعيّ.

الجنيريك البداية والنّهاية: كتابة معلومات عن الجامعة المُؤطِّرة، وأسماء طاقم إنتاج الفيلم الوثائقيّ واسم الأستاذ المُشرف.

[1] أنظر الصّورة رقم (13) في الملاحق.

خاتمة:

الخلفية التّاريخيّة لمدينة مستغانم رصّعتها للتّوق إلى تسجيل اسمها في خانة الحضارات، فصارت جزءًا لا يتجزّأ، وفصلا من فصول بصمات ما قبل التّاريخ إلى يومنا، هذه المدينة بكلّ ربوعها شهدت أطيافًا مختلفة وأجناسًا مختلفة وأديانًا مختلفة. ومرّت عليها السِّنُون، وانطوت صفحات تلك الحضارات تاركةً آثافيها شاهدةً على قدر القول "كانوا هنا" أو "مرّوا من هنا".

توافد الحضارات على أرض مستغانم، أكدّ على اختلاف طبيعة عيشها ونمط حياتها من خلال ما تركته جواز سفرٍ لأقوام عاشت هنا، فأثار مدينة "كيزا" تختلف عن أثار الموحّدين، وتختلف هذه الأخيرة عن أثار العثمانيين الأتراك، فكلٌّ حسب هندسته لحضارته، فالأثار أبانت عن معالم الإسلام كالمسجد المرينيّ (من باب الدّين والهندسة المسجديّة)، وأخرى أبانت عن الاحتلال والدّفاع العسكريّ (برج التّرك والمدافع، الحصون)، كما أبانت عن الصّناعات اليدوية والفلاحية (صناعة الفخار وجني الزّيتون)، وكان للمجتمع نصيب من ترتيبات البيت خاصّة أيام العثمانيين في بناء دار القاضي التّي أرست أحكام العدل وشؤون الأسرة كعقود الزّواج.

تنظيم مداخل المدينة ومخارجها كحصن منيع في العهد العثمانيّ أفرز مدى تطويق وحماية وجودهم عبر أبواب خاصّة بكلّ جهة.

هذا المشروع الاستثماري يحتاج إلى الصّون والحماية من التّلف والاندثار عبر تقنيات السّينماتوغرافية – من وِجهتنا–، الّتي تسمح بتقديم عروض واقعيّة تُعرّف بهذا التّراث، مقرّبة للأجيال اللّاحقة ذخيرة ماديّة لأعرق الحضارات في أرضنا، أرض مستغانم، والفيلم الوثائقيّ واحد من السّبل ذات القاعدة الجماهيريّة العريضة، ولا شكّ أنّه مؤثّر خاصّة عند سهولة وسلاسة نشره عبر منصّات التّواصل الاجتماعي على اختلاف أنواعها ومسمّياتها أو القنوات التّليفيزيونيّة أو غيرها.

إذًا فالفيلم الوثائقيّ وسيلة جديرة بكشف المُغيّب من حضارات سكنت المدينة من جهة، ومن أخرى مُعاينة الواقع الحالي لهذه الأطلال الّتي صارت تنادي مَن يحميها ويصون حاضرها، أو بالأحرى يصنع ما يليق بمدى عمق تاريخيّة المكان بإعادة الاعتبار للتّاريخ الماديّ.

وبالإجمال فاستخدام الفيلم الوثائقي التّاريخيّ كسلاح للدّعاية في أوساط الجماهير الشّعبية من جهة، والعمل على صناعة رأي عام عالمي يقتضي إخضاع المادّة السّينمائية إلى عملية بناء وتركيب من أجل التّأثير باعتبار أنّ الفيلم الوثائقيّ يتمتع بالمصداقية، وكونه الأقدر على نقل الحقائق والحفاظ على الذّاكرة.

أغلبية السّكنات قائمة على النّمط القديم، الدّي يحتاج التّرميم دون محو أصالته مثل حي تيجديت، الأمر الّذي يستدعي التّدخّل والمحافظة على هذا الحيّ العتيق الّذي يعدّ اللّبنة الأولى الّتي قامت عليها المدينة. ومن جانب آخر، أكد باحث في التّراث على أهمية الدّراسات والبحوث حول المدينة القديمة ليتسنى للأجيال القادمة معرفة تاريخهم، باعتبارها شاهدًا على البعد الحضاريّ للمنطقة، ورافدًا من روافد ثقافتها الأصيلة. الأصالة والاهتمام الموجّه نحو المادّة كمعطى سيورَّث للمستقبل وكحامل للقيم، وهذه القيم بالتّأكيد هي روحية أيضًا وليست فقط مادّية.

أهمية هذا الرّصد التّاريخيّ بالنسبة إلى الفرد والمجتمع قائمة على مدى نسبة المحافظة كأقل تقدير على هذا الإرث الحضاريّ، وحماية الثّراث الماديّ مطلب الدّولة والمجتمع المدنيّ على السّواء. فأمّة بلا تاريخ، لن تستطيع أن تحدّد لنفسها واقعها ولن يكون لها مستقبل لترسمه، فاليوم والغد قائمين على ما وقع بالأمس، وإذا أطّلعنا على صفحات الزّمن الّذي ولى، لوجدنا حلولًا لكلّ المشاكل، في السّياسات وأساليب تسيير شؤون التّراث والثّقافة، فالكمّ الكبير من التّراث وصلتنا منه 116 حرفة، ومن التّراث اللامادي وصلنا كذلك سمعًا وكتابة.

محاولة المساهمة ولو بالشّيء القليل في إثراء التّراث وإحيائه والمحافظة عليه ونقله للأجيال، اعتقادًا منّا أن عبء إحياء تراث أيَ منطقة يقع على كاهل أبنائها بالدّرجة الأولى بحكم انتمائهم إليها، وبحكم عيشهم فيها، إذن إنّ ذلك يساعدهم أكثر من غيرهم على اكتشاف الحقائق من أقرب السّبل وأسلمها و ذلك بفضل احتكاكهم بالمنطقة ومشاهدة أثارها.

عمومًا فإنّ تاريخ المدينة المتنوّع، والمنتشر بانتظام في ربوعها، سهّل علينا من خلال مقوّماتها الطّبيعيّة والاصّطناعيّة أن نعيد النّظر في استثمار واستغلال هذه الأطلال عمليًّا وفعليًّا، والتّرويج لها محليًّا، تحصيل حاصل للاستقطاب السّياحيّ الخارجي، ومنه إماطة اللّثام عن بعض الجوانب التّاريخيّة المُغيَّبة من الدّورة الحضاريّة والإنسانيّة لهذه المنطقة، وأحداث اليوم لا تُفهم إلّا بمعطيات الأمس.

الملاحق:

الصّورة رقم (1): سفينة فينيقيّة

الصّورة رقم (2): حفرة تخزين - ميناء كيزا.

الملاحق:

الصّورة رقم (3): جدار السّور- بلدية السّور.

الصّور رقم (4): المسجد المرينيّ العتيق - الطبّانة.

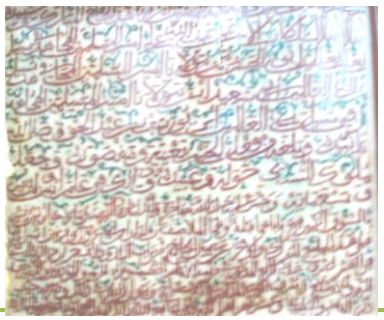

الصّورة رقم (5): وثيقة مخطوط - المسجد المرينيّ العتيق - الطبّانة.

الصّورة رقم (6): دار حميد العبد - الطّبانة.

الصّورة رقم (7): برج التّرك - حي المطمور.

الصّورة رقم (8): طاحونة الزّيتون الحجريّة - متحف برج التّرك - المطمور.

الصّورة رقم (9): ضريح يحي بوشلاغم وزوجته لالا عيشوش – حي المطمور.

الصّورة رقم (10): أواني فخارية - متحف برج التّرك - حي المطمور.

الصّورة رقم (11): مسجد السّيدة خديجة امّ المؤمنين - مزغران.

الصّورة رقم (12): مسجد النّور- وسط المدينة قبل ما كان كنيسة ***Sainte-Marcienne***.

MAGIX Vidéo deluxe MX Premium Version :(13) الصّورة رقم

الصّورة رقم (12): أهم المعالم التّاريخيّة والأثريّة - مستغانم عبر السّاتل Google Earth.

جدول يوضّح أبرز المعالم الأثرية والتّاريخيّة في مستغانم:

قصر الباي محمّد الكبير	مغارات السّور
ضريح الباي بوشلاغم	مدينة كيزة الفينيقيّة بسيدي بلعطار
حي الدّرب	مغارة ماسرى
حي الطبانة	العامود التّذكاري مزغران
حي المطمور	مسجد السّيدة خديجة امّ المؤمنين
حي تيجديت	الحمام المعدني عين النويصي
دار القايد ودار القاضي	كنيسة سان جان بانيست: يشغل حاليا مسجد
برج المهال	البدر يقع بوسط المدينة يعود بناؤه إلى
المسجد الكبير القديم	سنة1840م دشنها الويس الثالث سنة1850م
الأبواب 6 القديمة	حوّلت إلى مسجد البدر سنة 1970م
أسوار المدينة الأثرية	ـ المعبد اليهودي: بني المعبد سنة 1856م وتم
البرج الشرقي	تشيده يوم 19 جوان1857 .
باب العرصة	دار موقع الشعايبة
الحدائق والأشجار	cap ivi
منابع المياه بعين تادلس والسّور وعين بو دينار	ثكنة جيني
آثار مدينة صور العتيقة	موقع مسجد سيدي يحي
برج الاتّصال القديم بأولاد بوراس	عمود لوليافر

المصادر والمراجع:

المعاجم:

1. الإمام عبد القادر الرّازي، مختار الصّحاح، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان 1986م، باب الطّاء.
2. ابن منظور، لسان العرب ، مادّة (طلل)
3. معجم المعاني الجامع – معجم عربيّ عربيّ، باب الصّاد (صدى)

المراجع

1. ابن القيسراني، محمّد بن نصر، شعر ابن القيســـراي، تحقيق: عادل جابر صالح محمّد، الوكالة العربيّة للنّشر والتوزيع، الأردن، د.ط،1991م.
2. الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السّعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التّاسع عشر، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، ط1، دار الغرب الإسلاميّ، ج1، بيروت، 1990.
3. البكري أبو عبيد الله، كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدّار العربيّة للكتاب، المؤسّسة الوطنيّة للترجمة والتّحقيق والدّراسات، بيت الحكمة، 1992.
4. الشّريف الإدريسيّ، وصف إفريقيا الشّمالية والصّحراويّة، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تصحيح ونشر هينري بيراس، الجزائر 1957.
5. الهادي خليل، السّينما الوثائقيّة– التّونسيّة والعالميّة، دار آفاق، ط1، تونس 2012م.
6. باتريشيا أوفدا هايدي، الفيلم الوثائقيّ، تر: شيماء طه الرّيدي، مؤسّسة هنداويّ، ط1، 2013م.
7. توفيق ذبّاح، سينما السيرة الذاتية في الفيلم الوثائقي– مقاربة سيميوتأويليّة، أطروحة دكتوراه، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2020م–2021.
8. جمال عليان، سلسلة عالم المعرفة، الحفاظ على التّراث الثّقافيّ، مطابع السّياسة – الكويت، ع322، 2005م.
9. جورج كونتينو،. الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسين، القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997م.
10. خليفي جورج: الفيلم الوثائقي، مركز تطوير الاعلام، ط1، فلسطين،2014م.
11. داليا محمّد محمود عبد الجواد شرف ،كلية التربية الفنّيّة، جامعة حلوان، بحوث في التّربية الفنّيّة والفنون، المجلد(42)، العدد1.
12. رشيد محمّد الهادي بن يونس، نيل الغنائم من تاريخ مستغانم، المطّبعة العلويّة، ط1، مستغانم 1998.

13. شوقي أبو خليل، الحضارة العربيّة الإسلاميّة وموجز عن الحضارات السّابقة، دار الفكر المعاصر، ط1، سوريا، 1994.
14. تريز ماري جورنو، معجم المصطلحات السّينمائية، تر، بشور فائز، جامعة السّربون باريس، دون سنة.
15. عبد المالك سلاطنية، المستوطنات الفينيقيّة – البونيّة في الحوض الغربيّ للبحر المتوسّط، أطروحة دكتوراه العلوم في التّاريخ القديم، إشراف: د. محمّد الصّغير غانم، جامعة منتوري، قسنطينة.
16. عزّة حسن، الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، مطبعة التّرقي، دمشق 1968م.
17. علي شريعتي، تاريخ الحضارة، تر. حسين نصيري، مر. حسين علي شعيب، دار الأمير للثّقافة والعلوم، ط2 2007.
18. محمّد بن يوسف الزّيانيّ، دليل الحيران وأنيس السّهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، 1978.
19. محمّد الصّغير غانم، المظاهر الحضاريّة والتّراثيّة لتاريخ الجزائر القديم، ج1، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م.
20. محمّد الصّغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التّاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003م.
21. أحمد توفيق المدني، حرب الثّلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792. الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع.
22. مجموعة من المؤلفين، (الفلم الوثائقي مقاربة جدلية،) ط 1، لبنان، دار العربية للعلوم الناشرون، 2011.
23. محمّد الصّغير غانم، التّوسع الفينيقيّ في غربي البحر المتوسّط، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط 1979م، الجزائر، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر، ط 1982م، لبنان.

المراجع باللّغة الفرنسيّة:

1. Botin; Reconnaissance des villes fort et batteries d'alger publiés par Gabriel esquer, Paris,1927.
2. Bodin(M); Tradition indigénes sur Mostaganem intinénne Historique et Légendaire de Mostaganem et de sa région, Oran, (S.D).
3. Cintas. P, Op,Cit, (RAFR).
4. Moulay Belhamissi, Histoire de Mostaganem, Original provenant de l'Université du Michigan Édition2, SNED,1982

5. Thireau (L); Mostaganem et ses environs, historique, administration, description, renseignements généraux, Mostaganem; 1912.

المجلّات:

1. بلحوزي عبد الله، المظاهر الحضاريّة لمدينة مستغانم في الفترة الإسلاميّة من خلال المصادر التّاريخيّة، مجلة عصور، العدد 26-27، جويلية – ديسمبر 2015.
2. د/ محمّد حمّودي، صورة الجزائر إبّان الاحتلال من خلال كتابات الرّحال الألمانيّ موريس فاغنر، مجلة الموروث، العدد 02، 2013م.
3. يوسف الحوراني، الانتشار الفينيقيّ، مجلة "شهادتنا" مجلة شهريّة سياسيّة تصدر عن المجلس السّياسيّ للقوّات اللبنانيّة، عدد تشرين الثّاني، 2018.
4. قوعيش شريف، التّأثيرات الفينيقيّة في غرب البحر المتوسّط، المجلة الجزائريّة للبحوث والدّراسات التّاريخيّة،ج2، ع4، ديسمبر2016.
5. علي العقبانيّ، الفيلم الوثائقيّ وجهة نظر ترتكز على الوثائق والحياة، مقال منشور بمجلة آفاق سينمائيّة الإلكترونية، المؤسسة العامّة للسّينما، سوريا، رابط المقال:

http://afakcinemasy.com/page/ar/2029/_/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%84%D9%85+%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AB%D8%A7%D8%A6%D9%82%D9%8A....+%D9%88%D8%AC%D9%87%D8%A9+%D9%86%D8%B8%D8%B1+%D8%AA%D8%B1%D8%AA%D9%83%D8%B2+%D8%B9%D9%84%D9%89+%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AB%D8%A7%D8%A6%D9%82+%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9.html

مواقع إلكترونيّة:

1. الفيلم الوثائقي التّاريخيّ، موقع وكيبيديا 2024م.
2. http://afakcinemasy.com/page/ar/
3. https://www.univ-mosta.dz/tarf-ala-wlitt-mstghanm
4. https://www.elitihadcom.dz/%D9%85%D8%AE%D8%AA%D8%B5.

الملخّص:

أطلال الحضارات من مبانٍ وقلاع وصروح تاريخيّة، وثيقة رسمية لتراث ماديّ، شاهدة على تفاعل الإنسان مع متطلّبات عصره في القديم، وكاشفة عن أنماط حياته وثقافته وتقاليده. هذا الإرث الماديّ توقيع هجين من حضارات مختلفة بسطت نفسها على أرض الجزائر منذ قرون، ومستغانم واحدة من المدن الّتي وثّقت لهذه الحضارات على اختلاف مسميّاتها وأزمنتها.

Summary:

The ruins of civilizations including buildings, castles and historical edifices represent an official document of material heritage, witnessing the interaction of man with the requirements of that time, and revealing the patterns of his life, culture and traditions. This material heritage is a hybrid signature from various civilizations that extended themselves on the land of Algeria for centuries. And Mostaganem is one of the cities that documented these civilizations of all their names and times.